رشاد ابو شاور

ارض العسل

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

دار الحقائق

ارض العسل

قصـــة

رشـــاد ابـــو شـــاور

دار الحقائـــق

جميع الحقوق محفوظة

الطبعـــة الاولـــى
ايلـــول ١٩٧٩

صمم الغلاف : الفنانحسيب الجاسم

● ارض بعسل رواية تسجيليه عن ظروف اصدار وعد بلفور البريطاني الذي اعطى ارض فلسطين للعصابات الصهيونيه .

● هذه الرواية كتبتها للفتيان عام ١٩٧٣ ، واردت منها ان تملأ قلب وعقل الفتى العربي بالحقد على الصهيونية والاستعمار .

● وارض العسل هنا هي ارض فلسطين ، التي يقول الصهاينة ان الله وعدهم بها .

● بالنسبة للفلسطيني والعربي بشكل عام ، فلسطين هي المستقبل ، والمصير ، والكرامة .

● انني اقدم هذه الرواية التي كتبتها معتمدا على عدد كبير من الوثائق لكل فتى فلسطيني ، وكل فتى عربي ، كي يتعرفوا على اعدائهم ، وارجو ان اكون قد وفقت في تقديم هذا العمل الادبي بشكل مشوق وجميل .

المؤلف

الإهداء

الى الفتيان العرب ، الذين سيكبرون ويحررون أرضهم ، ويصنعون مستقبلهم .

الى فتيان فلسطين والجنوب اللبناني الذين يعانون مـــن الحرب التي يشنها الصهاينة على مخيماتهم وقراهم .

الى ذكرى اطفال مدرسة بحر البقر المصريين العرب الذين قتلتهم الطائرات الصهيونية .

رشاد

الفصل الاول

اخذ الدكتور وايزمن يتطلع من خلال زجاج النافـــذة المغبش الى السماء الرمادية . اخذ يحدث نفسه ، وهـــو مستغرق في التأمل : الطريق امامنا رمادي ، مثـل سمـــاء (مانشستر) ، لكن يجب العمل بلا توقف . اذا انتظرنـا فسننتهي ، ونحكم على انفسنا بالهلاك .

دخلت الخادمة بالقهوة ، بعد ان توقفت قليلا عند الباب بانتظار اذن بالدخول ، قالـــت :

ـــ دكتور حاييم ، تفضل قهوتك .

تطلع اليها وعلى وجهه شيء من الذهول .

ـــ أوه ياساره ، ماذا يقلقك ؟ .

همست :

ـــ طفلي .

ثم انفجرت باكية .

سألها الدكتور وايزمن .

ـــ اهو مريض يا ساره ؟ .

هزت برأسها ، واخرجت كلمة واحدة من بين شفتيهـا الراعشتيـــن .

ـــ نعـــم .

حدق الدكتور وايزمن في عينيها و اخذ يتكلم اليها .

ـــ يا ساره لو انك كنت في فلسطين ، اذا لكانت ظروفك افضل ، هنا في بريطانيا نحن غرباء . فلسطين بلاد العسل واللبن . يجب أن نضحي بكل شيء من أجل امتلاكها وطـــرد

العرب منهـــا .
اخذ يراقب اثر كلامه على نفسها ، ولكنه رأى بانهـــا ما زالت حزينة ، وانها تفكر بأبنها المريض .
سألهـــا .
ـــ هل ذهبت به عند اي من الاطباء ؟ .
ـــ نعم يا دكتور ، ذهبت به الى طبيب الاطفال .
قاطعهـــا :
ـــ اهو يهودي ام انكليزي ؟ .
اجابتـــه .
ـــ انكليزي يا سيدي ، وهو ما هر جدا .
رد عليها مجسم .
ـــ لا يا ساره ، حتى لو كان الطبيب الانكليزي ماهـــر جدا ، فيجب ان لا تذهبي لطبيب غير يهودي .

اخذ رشفة من فنجان القهوة ، واغمض عينيه قليـــلا ، ودا وكأنما يكلم نفسه :
ـــ انني دكتور في الكيمياء ، ولست دكتورا في الطـــب البشري .. وعلى كل نحن اليهود بحاجة للكيمياء .. وكـــل شيء يساعدنا على الوصول الى فلسطين .
انتفض وفتح عينيه ، وسألها بحسم .
ـــ ها كيف حالك مع اللغة العبرية ؟ .
قالت ساره :
ـــ انني اتقدم في تعلم اللغة العبرية يا دكتور ، وكذلك زوجي ، نحن نعد انفسنا للذهاب الى فلسطين .
قال وايزمـــــن :
ـــ رائع ياساره رائع . والان انصرفي .
خرجت ساره ، اخذ وايزمن يكلم نفسه بصوت مرتفع : فقراء اليهود اغبياء ، انهم لا يفهمون الحلم الذي دار في راس (هرتزل) وراسي .
الجهلة يجب دفعهم دفعا الى فلسطين ، انهم يذوبون في المجتمعات الاروبية ويتعلمون عادات الاروبيين يجب ان نجعل كل واحد منهم يشعر بالغربة حيث يعيش .

كان يذرع الغرفة الفسيحة جيئة وذهابا . كف عن الحركة اخذ يلتقط انفاسه ، صاح بصوت شبه مرتفع : ها ، وجدتها ، لنجعل اليهود يحسون بالاضطهاد والذل والمطاردة في المجتمعات التي يعيشون فيها ، ولننم الحقد بين اليهود وغيرهم من البشر . هذا امر رائع .

اخذ يهز راسه بفرح ، وكانه حقق اختراعا علميا .

تناهى الى سمعه وقع خطوات ساره داخل ارجاء البيت . ظل المطر في الخارج يهطل ويسيل على النوافذ . شعر وايزمن بالتعب ، جلس على الكرسي قرب المدفأة ؛ اخذ يفرك يديه ببطء وهو يحدق في الجمر المتقد . وقف . احضر دفتر مذكراته كتب : فلسطين بالنسبة لنا ارض العسل واللبن وهذا ما يجب ان نقنع به اليهود الفقراء في العالم ، ولكنها لم تكون ارض عسل ولبن ، فالعرب لا بد ان يقاتلونا . ستكون حربا رهيبة وربما تمتد لاعوام طويلة وعلى كل حال العرب ليس معهم دوله كبرى بينما نحن معنا بريطانيا العظمى ، ولنا نفوذ كبير في اميركا ودول اوربية كثيرة ، كل الدول التي تحتاج لنفوذ في بلاد العرب والتي لها مصالح ستكون معنا .

اجفى كتاب مذكراته ثم عاد وجلس قرب المدفأة . تناول كتاب التوراة وشرع يقرا اخبار ملوك اليهود القدامى وانباء حروبهم وهو يبتسم ويحدث نفسه : هل ان الله اصدر وعده لتكون فلسطين لليهود ؟ ضحك . اخذ يحرك الجمر في المدفأة وهو يفكر : الله الحقيقي هو من يعطيني وعدا حقيقيا بفلسطين ، ويساعدني على امتلاكها .

اغلق الكتاب واخذ يردد : بريطانيا ، بريطانيا هي التي تتحكم الان بفلسطين ووعدها لنا سيكون اهم من وعد يهوه .. اله اليهود القدامى .

اطلق ضحكة مجلجلة ، وتساءل : اى اله سيكون اقوى اله اليهود القدامى ، اله اليهود الجدد ، يهوه ام بريطانيا ؟ .

انتقل تفكيره الى ساره . فكر . هذه امراة تريد الشفاء لابنها لانه ابنها . اما انا فاريده ان يشفى ليكون جنديا يقاتل العرب ويسهم في طردهم من فلسطين صحيح انه قد يموت

على ايدى العرب ، وصحيح انه لن يجد عسلا ولا لبنا هنـــاك بل ربما يجد رصاصا يوجه الى صدره لكن ما يهمه هـــو ان يشفى ليحارب .

ضغط على زر الجرس فارتفع صوت ساره .

ـــ نعم يا سيدي . انني قادمة .

دخلت فاطلع اليها .

ـــ يا ساره ... يا ساره .

كان في صوته حماس مفاجيء

ـــ نعم يا دكتور .

ـــ خذي هذه الجنيهات لتشتري الدواء لابنك ، سوف احسبها من أجرتك في نهاية الشهر .

إتطلعت اليه شاكرة ، فاضاف :

ـــ منك سيصير جنديا في جيشنا الذي سيحارب لامتلاك فلسطين .

تساءلت ساره .

ـــ ولكن يا دكتور الا يمكن ان نعود الى فلسطين بـــلا حرب ؟ .

ضحـــــك وايزمن .

ـــ كي نصل الى العسل واللبن يا ساره، يجب ان نذوق بعض السم ، والحرب هي السم .

اقرأي يا ساره اخبـــار اليهود القدامى في التوراة . ان كتابنا المقدس مليء باخبار الحروب ، انه بدون اخبار الحروب ليس كتابا ابدا . والان يا ساره اذهبي وغدا اريد ان اسمع منك اخر اخبار اليهود في حيكم الفقير .

اغلقت الباب خلفها اخذ يتسمع وقع خطواتهـــــا حتى تلاشت ؛ مجلس واخذ يحرك الجمر في المدفأة .

الفصل الثاني

كان الوقت صباحا ، والجو ماطرا ولم يكن في البيت سوى الدكتور وايزمن ، وساره . وايزمن بروح ويجيء داخل غرفته الفسيحة . توقف . طوى جسده على احد المقاعد ، واستغرق في تفكير عميق .

عندما احضرت ساره له شاي . سألها .

ـ والان ، كيف حال طفلك ؟ .

اجابته بشيء من السرور .

ـ لقد تحسن يا دكتور .

اطلق وايزمن صوتا من حنجرته ،

ـ اوه .. اوه .

ثم قال وهو يغمض عينيه ،

ـ سوف يكبر ويصير جنديا .

فتح عينيه ، ووقف يتصفدا .

ـ ياساره ، أيتها اليهودية ، اراك في حياتك عربيا .

اجابته ساره وهي في حالة ذهول .

لا يا دكتور . لقد قرأت صورهم في الصحف البريطانية .

تكوم وايزمن في الكرسي واخذ يهتز ويضحك .

ـ العرب اغبياء ، بلهاء ، سوف تكتسحهم كالطوفان . لن يستطيعوا الصمود امامنا . ان ... بريطانيا يا عزيزتي ، معنية مصالح كل الدول الغربية ذات النفوذ في بلاد العرب .

نهض ، بدا متوترا ، وكانما اصابته نوبة الهذيان المعتادة .

ـ انت يا ساره نشيطة جدا ، والاخبار التي تنقلينها لي عن اليهود تفيدني جدا ، انها تجعل الصورة اكثر وضوحا امام عيني . يجب يا ساره أن نعزل اليهود عن الانكليز . عن الجميع . انـت يا ساره لا تعتبرين نفسك خادمة عندي . ها ؟ .

قالت ساره .

ـ نعم يا دكتور انني لست خادمة ، وانما انا اساعدك انت والاسرة .

قال وايزمن .

رائع ، رائع ، نحن اليهود يجب ان يساعد بعضنا بعضا كي نحقق الانتصار على الفلسطينيين وكل العرب .

اخذت ساره تهز راسها موافقة على كلامه .

سألها :

ـ كيف اخبار زوجك ، هل يعمل جيدا ؟ .

اجابت ساره .

ـ انه ينقل اخبار كل ،اليهود الذين يشتغل واياهم في المصنع بالاضافة الى انه اخذ ينقل افكارك العظيمة الى رؤوس العمـال اليهود والانكليز .

فرك وايزمن يديه بسعاده ،

ـ اوه .. رائع ياساره ، رائع ، انتم اسرة يهودية نموذجية يا ساره نحن سنعيد امجاد اليهود القدامى .

سألهـــا :

ـ اقرأت التوراة جيدا يا ساره .

اجابت :

ـ نعم يا دكتور .

سألهـــا :

ـ اتتذكرين قصة (موسى) النبي وكيف قتل المصري دفاعا عن الرجل اليهودي .

قالت بحماس .

ـ نعم يا دكتور .

قال وايزمن :

ـ يجب ان نقتل كل من يقف في طريق اهدافنا باسم تعاليم الرب يا ساره ، وبمباركة من بريطانيا العظمى سنطرد العرب من فلسطين ، لتكون وطنا لنا .

اندفع الى النافذة وفتحها .

ـ ياساره رغم هذا الجو الماطر ، اشعر بانني اوشك ان اختنق ، ان حرارتي ترتفع ، عندما احلم بالاستيلاء على فلسطين .

امرسا وهو يتطلع عبر النافذة ، ويوليها ظهره .

ـ ستعود السيدة وايزمن متأخره ، ولذا يحسن بك ان تعدي لي طعام الغداء ، ثم اذهبي الى بيتك لمواصلة عملك انت وزوجك.

ادركت ساره انه يأمرها بالخروج ، انحنت راسها ، ثم خرجت واغلقت الباب خلفها .

اغلق وايزمن النافذة ، وراح الى مكتبه ، فتح الدرج واخرج منه دفتر مذكراته ، اخذ يكتب :

لقد بدأت الحركة الصهيونية في تحقيق الانتصار تلو الانتصار . صحيح ان كفة المانيا راجحة في الحرب حاليا ، لكن هذا لن يحول دون الحاق الهزيمة بأولئك الالمان الملاعين .

لقد نقلت حركتنا الصهيونية ثقل جهودها للتأثير على الانكليز والفرنسيين والاميركيين ، لايهامهم باننا ندفع بثقلها لصالحهم في المعركة .

اغلق الدفتر ، اخذ يهز راسه ببطء وحزن . ويحدث نفسه! الحقيقة انه ليس لنا ثقل في هذه الحرب ، لانه لا يوجد رابط يجمع اليهود ويوحدهم . نحن لا جيش لدينا ، ولا قوات . لكن هذا لا يمنع من ايهام تلك الدول باننا سنسهم بدورنا في تحقيق الانتصار .

اعاد دفتر مذكراته الى الدرج ، واغلق عليه بالمفتاح ، وقال لنفسه ! في هذه المذكرات بعض اسرار حركتنا الصهيونية ، ولكن ستظل في راسي تلك الاسرار الرهيبة التي لن تكشف حتى لاقرب المقربين .

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

الفصل الثالث

كان الدكتور وايزمن ينتظر اللقاء الثاني بالمستر هربرت صموئيل وكان هربرت صموئيل قد حضر الى مانشستر والتقى بالدكتور وايزمن وحصل منه على مطبوعات ونشرات عن الحركة الصهيونية ، ثم ان هربرت صموئيل ، الذي لم يكن يهتم سابقا بالحركة الصهيونية ، رغم انه يهودي الاصل ، بدأ يتجه بفكره وقلبه لتاييد تلك الحركة ودعمها لدى الاوساط الانجليزية الرسمية ٠

ما ان انتهى من قراءة تلك الاوراق ، حتى قرر السفر للاتصال بالدكتور وايزمن وابلاغه تأييده للفكرة ، وتطوعه للسير معها حتى يتحقق الحلم الصهيوني بالاستيلاء على فلسطين ٠

أثناء سفره كان يفكر في امكانية ان يكون احد الاشخاص البارزين في الحركة ٠ وواحد من اولئك القلائل الذين سينهضون بالفكرة ٠

كانت السيارة تنهب المسافة الى مدينة مانشستر حيث يقيم الدكتور وايزمن ٠ وكان المستر صموئيل يفكر في نفسه : انني يهودي ولن اغير ديني كما فعل دزرائيلي الذي تخلى عن دينه بتشجيع من والده ، والذي استطاع ان يصل الى كرسي الوزارة ، لقد وصلت الى الوزارة ، لكنني سأسدد كل شيء في سبيل انشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ٠

حين ترخل مستر صموئيل من السيارة ، كان الدكتور وايزمن قد خرج للقائه هو وافراد اسرته عند الباب · واذ بدى ان ملامح الرجل فيها تأييد للفكرة اقترب منه وايزمن واحتضنه وربت كل واحد منهما على ظهر الاخر بطريقة ودية فيها احتفاء صريح ·

قال وايزمن بصوت متهدج فيه انفعال :

ـ افراد اسرتي اليهودية يرحبون بفرد عظيم من الاسرة اليهودية الكبيرة ·

مدت السيدة وايزمن يدها وعلى وجهها ضحكة منتصرة ·

ـ أهلا بعزيزنا الذي لن يتخلى عن قومه كما فعل (دزرائيلي) ·· اهلا بك هنا في مانشستر ونرجو ان نلتقي ذات يوم في (اورشليم) على ارض فلسطين ·

كان المستر صموئيل يبتسم بسعادة وقد وضع قبعته في يده اليسرى · وكان يهز رأسه بين الفنية والاخرى وينقل نظراته بين دكتور وايزمن وزوجته ويافي المستقبلين ·

واذا انتهوا من الترحيب ، دخلوا الى غرفة الاستقبال · جلسوا جميعا الا الدكتور وايزمن فقد ظل في منتصف الغرفة الواسعة المزينة بلوحات وصور يهودية ·

قال بطريقة سبه رسمية جاهد ان تكون ودية وحارة ·

ـ اننا نرحب بك يا عزيزنا · اننا فرحون ان ينضم الى صفنا يهودي هام الشان مثلكم ·

واذ سكت وايزمن قليلا ، قال صموئيل :

ـ انت يا دكتور سبقتنا وواصلت الحفاظ على رسالة شعب اسرائيل وافكار رائدنا الكبير (هرتزل) ·

قال وايزمن اذ شعر ان صموئيل قد حسم الموقف بشكل نهائي · وانضم تماما الى الحركة ·

ـ اننا ياعزيزي قد بدأنا نخرج من التيه ، لقد بدأنا نترك الصحراء التي ذ منا عا ، رمالها ، ان اليهود سيتخلصون من المنفى ما دام ان قادتهم وعباقرتهم قد شرعوا يسخرون مواهبهم لصالح شعب الله المختار ٠

وقف مستر هربرت صموئيل ، واجال نظراته في الحاضرين وابتسم ، ثم قال :

ـ انني اشكر حفاوتكم ، وانني سوف اضاعف من جهودي للتأثير على اصدقائي الوزراء الانجليز لكسب ودهم، ودفعهم لتأييد الحركة علنا ٠ وتأييد مطالبنا بالاستيلاء على فلسطين ٠

صمت قليلا ٠ ثم قال :

ـ ليس عندي ما اضيفه ٠ ولكنني اؤكد ان هذا عهد مني وسوف اعمل في الاسهام على انجاز ما تحلم الحركة الصهيونية بتحقيقه ٠

ثم جلس ٠ فأعلن وايزمن :

ـ اسمح لي يا عزيزي ان اصفق لك نيابة عن كل الصهاينة في شتى ارجاء العالم ٠

بينما كان وايزمن وافراد اسرته يصفقون كان صموئيل يتمتم وهو يرسل نظراته امامه بشكل مائل : شكرا يا دكتور شكرا يا اعزائي ٠

تناولوا الشاي بصمتوكأنهم جياد قطعت شوطا طويلا ثم اخذت ترتاح لتستأنف ركضها المحموم ٠

واذا انتهوا من احتساء الشاي، خرجت السيدة وايزمن وباقي افراد الاسرة ، وظل في داخل غرفة الاستقبال وايزمن وصموئيل ، عندها اعلن وايزمن عن ضرورة الانتقال الى غرفة المكتب ، فانتقلا ٠

قال وايزمن :

ـ والان يا عزيزي نستطيع ان نبدأ · انني في غاية الشـــوق لسماع رأيكم حول الافكار الصهيونية التي قرأتموها · واذا كانـت لكم اية ملاحظات فانني سأكون سعيدا اذا ما سمعتها ·

قال المستر صموئيل ·

ـ عزيزي الدكتور · ليست لدي أية انتقادات · اطلاقا ، وليست لدي تحفظات · ولو كانت لدي لانبأتكم بذلك قبل حضوري كي اتلقى ايضاحاتكم ·· لذا جئت بنفسي لاعرب لكم عن تأييد المطلق للحركة · ولمبادئها ، وأنا اعلن امامكم ان ولادة الشعب اليهودي الجديدة قـد بدأت · وكي اوضح رأيي فانني ارى ان الظروف تساعـد الحركة · ان ظروف الحرب ودخول تركيا الحرب الى جانب المانيا ستجعـل مصير فلسطين مستقبلا في يد بريطانيا · الا ترى ذلك يا دكتور ؟

قال وايزمن وهو يهز رأســـه وعلى شفتيه ابتسامـة الانتصار باكتساب هربرت صموئيل ·

ـ بالضبط يا عزيزي ، الظروف العالمية مناسبة لتحركنا ولكن علينا نحن ان نتحرك ، ايضا ، لان اهدافنا لن تتحقق دون تعب ، الا ترى ذلك يا عزيزي ؟

ادرك هربرت صموئيل ان وايزمن يشجعه على ان يستخدم نفوذه لدى الاوسـاط الرسمية البريطانية ، وانـه يـدعوه للعمل الجدي ، فقال :

ـ يا سيدي الدكتور · اؤكد لك مرة اخرى انني سأبدأ في العمل بجد لكسب ود بعض الوزراء ونواب البرلمان البريطاني ·

قال وايزمن :

ـ من الضروي كسب ود بعض الصحفيين والمفكرين والفنانيين والادباء ، ذلك انهم يســـيطرون على الرأي العـام · ولهم تاثيرهم الكبير ، فاذا كسبت بعضهم الى جانبنا فاننا سنتقدم بسرعة باتجاه السيطرة على الرأي العام البريطاني الرسمي والشعبي ·

والان ساعلن امامك ، هنا في ما نشستر بانني تعرفت بالنائب لورد (بلفور) الذي وصل الى مرتبة وزير ، ان معرفتي السابقة به ، وتأثيري عليه ، قد جعلاه من اشد المتحمسين لافكارنا ، واذا اصبح وزيرا للخارجية فانه سيندفع في نقل افكارنا للويد جورج رئيس الوزراء ، بل وللملك نفسه ، رغم ان الرأي الاهم هنا في بريطانيا هو لرئيس الوزراء ٠

كان هربدت صموئيل يهز رأسه علامة موافقته على اقوال وايزمن ، واذا انتهى وايزمن من توضيح فكرته قال هربرت صموئيل :

ـ اسمح لي يا دكتور ان ابسط امامك هذه الفكرة التي تدور في ذهني ٠ انني ارى انه يجب ان يتولى يهود انكلترا وامريكا زعامة هذا المشروع ٠ ان يهود المانيا لا يستطيعون عمل شيء حاليا ، اما يهود فرنسا فليس لديهم نفوذ كاف ، ونستطيع ان نعتبر يهود ايطاليا كذلك ، وبما ان بريطانيا حاليا وامريكا في المستقبل القريب ستكونان مركز الثقل بالنسبة لفلسطين فان رأيي يكتسب اهمية من كون بريطانيا تريد ان تسيطر على قناة السويس الى الابد ٠

قال وايزمن ، وهو يتمشى في منتصف الغرفة جيئة وذهابا ٠

ـ هذا صحيح ، ان فكرتك في مكانها الصحيح ، اسمح لي ان اهنئك على هذه الفكرة ، لقد بدأت تسخر عقلك لخدمة أبناء شعبك ٠

دخلت السيدة وايزمن ، وقالت :

ـ ارجو ان لا ازعجكما ، هل استطيع دعوتكما الى غرفة الطعام ٠

ابتسم الدكتور وايزمن وقال :

ـ لقد اعددنا لك وجبة من الاطعمة اليهودية وليس فيها أي طعام انجليزي ٠

اخذوا يضحكون ، ثم اتجهوا الى غرفة الطعام ٠

الفصل الرابع

عندما عاد هربرت صموئيل في اليوم التالي الى (لندن) بدأ يفكر كيف سيبدأ العمل والاتصال بالمسؤولين البريطانيين ٠

.. كانت لندن كئيبة مهمومة ، خائفة ، ذلك ان الامبراطورية التي لا تغيب الشمس عن املاكها ٠٠ كانت في خطر ، كانت غواصات الالمان تدمر السفن والبوارج الحربية البريطانية ، والجيوش البريطانية والفرنسية تتلقى الضربة تلو الضربة ، اما الجيوش الالمانية والجيوش الحليفة لها فقد كانت تندفع في حربها الى الامام ٠

نيران المدافع تزمجر ليل نهار بلا توقف ، البشر يموتون بالالوف ، بفعل المجاعة ، او بفعل المدافع والرصاص ٠

وفي لندن التي كانت زعيمة الطرف المعادي للالمان في الحرب ، كانت عقول الساسة متعبة ومضطربة ٠ اذ ان مصالح الامبراطورية في خطر ، ليس ذلك فقط ، بل ان مصير الامبراطورية نفسها في خطر ٠ في تلك الايام كانت كل دولة تحسب خسارتها وارباحها ، وتتطلع الى اين تتجه ، وفي ذلك الجو بدأت الحركة الصهيونية تعمل بلا كلل ولا ملل ، ولجأت الحركة لكل الوسائل ، لذلك لم يتورع قادة تلك الحركة في البداية من المناورة مع المانيا والعمل على كسب ودها

وعطفها حتى اذا ما انتصرت اعطتهم فلسطين، اما اليهود الذين في بريطانيا فقد عملوا على اجتذاب ود بريطانيا ، وهكذا بدأ وايزمن وبعض اتباعه ـ الذين اكتسبوا هربرت صموئيل ـ في العمل على التأثير في عقول ساسة بريطانيا وقادتها ٠

قال هربرت صموئيل فلأبدأ بمقابلة وزير خارجية بريطانيا ادوار غراي ، كان ذلك في ٩ نوفمبر من عام ١٩١٤ ، وقد تحقق اللقاء ، وبدأ الحوار حول افكار الحركة الصهيونية ومستقبل فلسطين بكل وضوح ٠

قال هربرت صموئيل :

ـ سيدي وزير الخارجية لقد القت تركيا بثقلها العسكري الى جانب المانيا، وان هزيمة المانيا تعني هزيمة تركيا وهذا يعني تمزق الامبراطورية التركية عند الهزيمة ، عندئذ فان الخلافات سوف تدب حول مَن مِن الدول سوف تسيطر على فلسطين خاصة وان موقعها هام جدا، ذلكانها كما لا يخفى عليكم تسيطر علىقناة السويس٠ ان الفرصة ستكون مؤاتية لجعل اليهود يسيطرون على فلسطين فيضمنوا بذلك سيطرة بريطانيا على قناة السويس ٠

قال الوزير جراي ٠

انني مع الفكرة ٠ ولكن الاوان لم يحن بعد ، على كل لا مانع من طرح الفكرة ، تماما مثل البذرة كي تختمر وتنمو في المستقبل . وعلى كل فاني اسألك هل يجب ضم سورية الى المشروع ؟

اجاب هربرت صموئيل :

ـ لا يا سيدي ، تلك اماكن مكتظة بالسكان ، انه ليس من حكمة الرأي ضم تلك البلاد ، ذلك ان عدد اليهود سيكون قليلا في بادىء الامر ٠

وعاد جراي يسأل :

ـ ولكن ماذا بالنسبة لسورية ؟

اجاب هربرت صموئيل :

ـ الحقيقة انه من الحكمة ان تضم بقية سورية الى فرنسا ، اذ انه اجدى للدولة اليهودية ان تكون لها جارة اوروبية من ان تكون تلك الدولة تركيا او ان تنشأ دولة عربية قوية ٠

قال جراي :

ـ فكرة صائبة وذكية ، انني ارى ان عليك يا مستر صموئيل ان تسهم في تنفيذ تلك الخطة التي ستضمن مصالح الطرفين : اليهود ، وبريطانيا ٠

قال هربرت صموئيل :

ـ انني بدأت في وضع خطوط مذكرة عنوانها (مستقبل فلسطين) تتضمن اهم افكار الحركة الصهيونية حول فلسطين ، وانني سأوزعها على قلة من الرجال الهامين امثالكم ، والذين سيكون لها دور هـام في تحقيق هذا المشروع ٠

قال جراي :

ـ المهم ، المهم يا عزيزي ان يتحقق الانتصار ٠

وقف وراء طاولته ، ثم اخذ يمشي حتى وصل الشباك فأخـذ يتطلع منه :

ـ ان اليأس قد دب في قلوب الكثيرين ، الالمان الملاعين عندهم قوة هائلة ٠٠ آه ٠٠ آه يا عزيزي الامبراطورية واملاكها في خطر ، الالمان يريدون سرقة البلاد التي نستولي عليها منذ عشرات السنين٠

قال هربرت صموئيل بدهاء :

ـ سيدي · انني لا أفشي سـرا اذا قلت لـــك ان بعض اليهود يعملون ليل نهار لانجاز بعض الصناعات العسكرية الحربية الرهيبة التي ستغير وجه الحرب ، خاصة الدكتور الكيميائي العظيم « وايزمن، الذي يدرس في جامعة مانشستر · على كل ارجو ان لا تذاع هـذه الاخبار كي لا يدفع اليهود في المانيا الثمن ·

ان اليهود ، خاصة علماءهم يعملون ليل نـهار ، وهم يمدون يدهم الى بريطانيا العظمى من اجل المصالح المشتركة ·· فهل تمتـد كف بريطانيا لليد الممدود ·

وقف ومد يده ، فتلقفها المستر جراي وهو يهز رأســـه ويعلن بفرح طفولي وقد صدق حكاية الاختراعات : واعلن ·

ـ اننا نصافح تلك اليد بحرارة :

ثم هز يد هربرت صموئيل ·

الفصل الخامس

منذ اكثر من سنتين والحرب مشتعلة ، انها مثل النار التي تلتهم كل ما هو امامها · واذ رأى الصهيانة وجماعاتهم ان الامور غير مستقرة فانهم اخفوا في البداية نشاطاتهم كي لا يكشفوا اسلوب عملهم · اما الان وبعد مرور اكثر من سنتين ، ورغم ان الالمان ما زالوا اقوياء ، فان الصهاينة قد شرعوا يزيحون الاقنعة عن وجوههم ، ويتحركون بين بريطانيا وامريكا وفرنسا ، ينظمون اليهود الكبار ـ الاغنياء والرجال البارزين ـ في صفوف حركتهم ويعملون على اكتساب بعض الشخصيات الهامة في تلك الدول ، يقيمون الصلاة ويشعرون بريطانيا وحلفائها بان اليهود انما يعملون ليل نهار لتحقيق الانتصار لصالح تلك الدول ، وان الحركة الصهيونية قد دفعت بثقلها لتحطيم المانيا ، وسرقة اسرار قوتها العسكرية ·

في تلك الفترة اعتمد الصهاينة على الدعابة لصالح فكرتهم تلك ، واخذوا يروجون افكارا كاذبة عن اختراع متفجرات وصناعات حربية رهيبة سترجح كفة الحرب لصالح اعداء المانيا ·

ولقد بلغ كذبهم حدا غير معقول ، فقد بدأت اشاعات قوية تنتشر في بريطانيا عن ان اختراع مادة الـ (ت· ن· ت·) انما هو بفضل (العالم) الدكتور حاييم وايزمن ·

ورغم ان وايزمن كان يعرف تماما انه لا علاقة له باختراع تلك المادة ، فانه لم يعط اجوبة واضحة وصحيحة . ولم ينف تلك الاكاذيب ، بل انه كان يسهم في ترويجها ويدفع بعض انصاره لتصديقها ·

في نفس تلك الفترة تسربت اشاعة الى المصادر العليا في الحكومة البريطانية مفادها ان الدكتور وايزمن عاكف على اختراع "(كمامات) ضد الغاز ، وان هذا الاختراع سيبطل مفعول الغازات السامة التي يطلقها الالمان · ورغم ان تلك الاختراعات كانت وهمية ، بل وتثير الضحك كما كتب احد الصحفيين البريطانيين ، والذي طرد من عمله في تلك الصحيفة التي سارعت الى اعلان اعتذارها واعتبار ان ذلك الصحفي معاد للصهيونية ولبريطانيا في ذلك الوقت · فقد واصل الصهاينة من خلال الصحف الدعاية لها ·

كان الدكتور وايزمن يشرب قهوته وامامه زوجته ، وكانت الافكار تتلاطم في رأسه ، سألته زوجته :

ـ يا دكتور ، الا تظن أن هذه الدعايات التي يلصقونها بك ستتسبب لنا ببعض المشاكل ؟

رفع رأسه اليها ، تطلع في عينيها مباشرة ، ثم انفرجت شفتاه عن ابتسامة ·· وفجأة اطلق ضحكة مجلجلة · وقال وهو يضع يده على يد زوجته ·

ـ عزيزتي ، انا شخصيا لم أعلن امام احد من الرسميين البريطانيين انني اخترعت شيئا ·· ان حال بريطانيا يا عزيزتي اشبه بحال الغريق ·· الغريق لو رأى قشة على سطح الماء فانه سيحاول ان يتعلق بها ، وهذه الاختراعات هي اشبه بالقشة ، وبريطانيا الان وهي تدرك ذلك ، تروج عن قصد لانباء هذه الاختراعات الوهمية ، كنوع من الحرب النفسية ضد الالمان ، ولتقوية عزائم جيوشها المحاربة ·

قالت السيدة وايزمن :

ـ كيف ترى سير الامور يا دكتور ؟

أجاب :

ـ بريطانيا وحلفائها سوف ينتصرون · لذلك ما عـاد يهمنا اذا عرف الالمان ان لنا صلات مع الانجليز ، ان هذا العام او العام المقبل سيسجل بداية التحول الحاسم لصالح الانجلـيز ·· نحـن تهمنا مصلحتنا ، مصلحتنا فوق الجميع ، الا يعلن الالمان ان المانيا فـوق الجميع ، وان مصلحة المانيا فوق جميع المصالح ؟ الكل يتطاحنـون ·· ونحن ننتظر في زاوية حتى يصيبهم الدوار ، عندئذ نقفز من اجل الحصول على ما نريد وبكل سهولة ، والان يا عزيزتي ؟

تكلمت السيدة وايزمن مستفسرة :

ـ والان ماذا يا دكتور ؟

قال وهو يحك رأسه باصابعه بهدوء وقد اغلق عينيه ·

ـ انت ستتجهين الى لندن لمواصلـــة اتصالاتك بنساء السادة الوزراء البريطانيين ··

عند هذه الكلمات ضحك · ثم اضاف :

ـ انني اعرف انهن نسـوة بلهاوات لاهم لهن سـوى الترويـج للفضائح واخبار انحلال الطبقة الحاكمة ، ولكننا من خلالهن نستطيع ان ننفذ الى ازواجهن ·

قالت زوجته :

ـ انني اصاب بالملل من الحوار معهن ، ولكنني مضطرة لتحملهن من اجل الوصول الى هدفنا · العجيب ان لهن تأثير هائل على اولئك الازواج الذين يرسمون مصير العالم ·

قال وايزمن ٠

ـ سوف يأتي اليوم يا عزيزتي ، الذي تقف فيه زوجات ســـادة بريطانيا ساعات طوال حتى يحظين بمقابلتك ، ولكننا الان ، رغم كل شيء ضعفاء الا ان الايام القادمة ستحمل لنا كل ما نريد ٠

صمت قليلا ، ثم اضاف ٠

ـ لا تنسي ان تقومي بزيارة زوجات اغنياء اليهود ، انني اعرف انهن يقلدن البريطانيات البلهاوات ، لكنني ارى ان علينا ان نعيدهن مع ازواجهن الى الحظيرة اليهودية ، ان عليك ان تحركي كبرياءهن على كل إنت لا تحتاجين الى من يشرح لك الامور ٠

نهض من على كرسيه ، وكذلك زوجته ، تقدم اليها واخذها بين يديه ، ثم قبلها وقال :

ـ اتمنى لك رحلة جيدة ، والان الى اللقاء ٠

تطلع الى ساعته ٠

ـ لقد حان وقت القاء الدروس في الجامعة ٠

ثم خرج دون ان ينظر الى الوراء كانت زوجته تراقبه وهـــي تردد لنفسها ٠

ـ انك صهيوني حقيقي ايها الدكتور ٠٠٠ انك داهية ٠

الفصل السادس

(نريد ان ندرس الكيمياء فقط)

حين تطلع وايزمن الى اللوح وهو يدخل الفصل ، طلعت امامه تلك الجملة فانتفض وكأن أفعى لدغته. عرف ان احد الطلبة الانجليز كتب تلك الجملة ، التي يؤنب بها الدكتور وايزمن ويعلن من خلالها احتجاجه على تحويل دروس الكيمياء ، الى دروس دعابة سياسية لصالح الحركة الصهيونية .

خرج الدكتور عن وقاره وقال وهو يوجه كلامه الى جميع الطلبة في الفصل ، رغم ان بينهم يهود :

ـ بريطانيا بحاجة لرجال ، نعم بحاجة لرجال اذكياء .. وكان احد افراد عائلة بلفور في الفصل فقال :

ـ اذكياء مثل لوردبلفور هذا السياسي المدهش الذي يفهم ما هي مصلحة بلاده .

اما دراسة الكيمياء ، فأنتم تعرفون ان الكيمياء وغيرها انما ندرسها من اجل اوطاننا ، ولا اظنكم تجهلون هذا الكيميائي يا (تلاميذي) .

وشدد على كلمة : (تلاميذي) ثم توقف عندها ، وعاد يكررها من جديد ٠

ـ الكيمياء يا تلاميذي الاعزاء ، هي ان نمزج بعض العناصر ، نجعلها تتفاعل لتولد عناصر جديدة اخذ يحدق في الوجوه بنوع من الغاضب العاصف ، وكأنما يريد ان يكتشف من هو ذلك الطالب الذي كتب هذا الكلام الاستفزازي على اللوح ، لكن احدا من الطلبة لم يرتبك ، وانما كانوا يراقبون حركات الدكتور وايزمن ٠ الذي اخذ يواصل كلامه ٠ ومال لاستغلال عواطفهم حتى لا تتعقد الامور ٠

ـ ان امبراطوريتكم في خطر ٠

وتوقف عند هذه الجملة ، ثم ادر ظهره للطلبة وكتب على اللوح بخط عريض تحت تلك الجملة ٠

الامبراطورية البريطانية العظيمة في خطر ٠

ثم اخذ يراقب الوجوه ٠ ويتجول بين المقاعد ، ويربت على اكتاف بعض الطلبة من اليهود والانجليز كي يشعر الجميع بالود والابوة ٠

سأله احد الطلبة :

ـ ماذا نفعل يا دكتور من اجل الامبراطورية ، ونحن ما زلنا على مقاعد الدرس ؟

تهلل وجه الدكتور وايزمن ٠ اقترب من الطالب بحماس وربت على كتفه وقال له :

ـ هذا هو السؤال يا تلميذي العزيز ٠ هذا هو السؤال الذي يؤدي لاكتشاف الاشياء وفهمها ، انتم طلبة ، أليس كذلك ؟

قال اغلبهم بسرعة ، وقد اخذ الدكتور يسيطر على عقولهم مثل ساحر شاطر ٠

ـ نعم يا دكتور ٠

رفع هامته ، كي يشرف بنظراته على الجميع ، واخذ يمشـــي الى الوراء ، وهو يقول :

ـ هذه هي الكيمياء ، ان نسأل ، ثم نجيب على تلك الاسئلة ، من خلال حل المعادلات المطروحة امامنا ٠

لقد قلنا ان الامبراطورية في خطر ، نحـــن اليهود نرى ذلك . مصلحتنا نحن وبريطانيا ان تنتصـــر بريطانيـــا ، نحـــن نضع كـــل عبقريتنا اليهودية في خدمة انتصار بريطانيا ٠

وقف طالب يهودي اسمه (اكوف) وسأل :

ـ دكتور ، ما هي اخر اخبار الاختراعات ؟

وكي لا يدخل في مأزق اعلن وايزمن بأسلوب ملتو :

ـ ان علينا ان نعمل ليل نهار مـــن اجـل الانتصار وعلى كل فالعقول اليهودية الضخمة ٠

واشار باصبعه الى رأسه ٠

ـ العقول اليهودية الضخمة تعمل ليل نهار من اجل تطويـــر الصناعات العسكرية البريطانية . كي ندمر القوة الالمانية ٠

كان الحماس قد اخذ يـــدب بين الطلبة ٠ وكانوا قـــد اخذوا يتهامسون عن انباء الاختراعات ، اما الدكتور فكـــان ينظر اليهم وعلى وجهه ابتسامة عريضة ، وكان يستعيد في ذهنه بعض الجمـل التي جاءت في التلمود والتي تقول ان الناس في كل العالم هـم (جدييم) اي حيوانات وانه سيأتي اليوم الذي يسيطر فيه اليهود على البشر ويجعلوهم خدمـــا لهم ، وكي لا يستعيد الطلبة توازنهم سأل وايزمن بصوت مرتفع وكأنه يخطب في الوف الناس :

ـ والان هل تعرفون ما هي الكيمياء ؟

لم يجب الطلبة ، بل انعيونهم ظلت شاخصة اليه متعلقة بوجهه مندهشة بحركاته ٠

اخذ يهز رأسه وهو يقول :

ـ الكيمياء هي ان نضع مصالح بريطانيا مع مصالح اليهود ، ثم نمزج تلك المصالح ، ونوحد العبقريات اليهودية والانجليزية من اجلْ ان ننتصر جميعا ٠

اخذ بعض الطلبة يصفقون بينما وايزمن يبتسم وهو يهز رأسه قائلا :

ـ لا مانع من بعض الدروس التي نترك فيها المعادلات من اجل معادلات اكبر هي اوطاننا ومصالحنا ٠٠ وعلى كل ما دمتم تريدون الكيمياء (البحتة) فاستعدوا من اجل الدروس القادمة ٠٠ لسوف اتعب رؤوسكم الشابة بالشرح ٠

ابتسم بخبث ، فاخذ بعض الطلبة يهتزون ضحكا ، بينما بعضهم يبدو على وجوههم الامتعاض ٠

الفصل السابع

بعد حوالي ثلاثة ايام عادت السيدة وايزمن الى مانشستر بواسطة القطار · ولم تخبر زوجها كي لا تتسبب في ازعاجه · ومـــن جهة اخرى لانها تعرف انه مشغول في اعطاء الدروس في الجامعة ·

لذا لم تنبئه بموعد عودتها كي يحضر لاستقبالها هو وباقـــي افراد الاسرة والاصدقاء ·

عندما نزلت في المحطة تناولت حقيبتها السوداء وسارت بعض الخطوات ثم اخذت سيارة تاكسي وعادت الى البيت · والفرح يغمر قلبها ، انها تحمل اخبارا ســـارة للدكتور ، لقد جـــاء بعض كبار اليهود من المانيا ، هربوا سرا الى بريطانيا بعد ان عرفوا ان نيران الحرب ستلتهم المانيا · وان الانتصار سوف يكون لصالح الانجليز وحلفائهم ·

الاخطر من هذا ان العرب قـــد شرعوا يقاتلون الى جـــانب بريطانيا ضد الاتراك الذين هم حلفاء الالمان ، اضافة لاخبار اخرى عن اللقاءات والاجتماعات التي عقدتها مع النساء اليهوديات وزوجات بعض النواب والشخصيات البريطانيـــة توقفت السيارة امام البيت ، هبطت السيدة وايزمن ·

خطت بسرعة صوب الباب ثـــم ضغطت عـلى الجرس ، فخرجت (الخادم) واخذت تطلق عبارات الترحيب • قفزت الدرجات بسرعة وحين وصلت السيارة حملت حقيبة السيدة •

اخذ السيدة وايزمن تتجول في الغرفة ، تلقي نظرة عى الاشياء وهي تبتسم وكأنما هي عائدة من عالم الموت الى عالم الحياة •

قات :

ـ هل الدكتور في الجامعة ؟

ردت سارة •

ـ اعتقد ذلك يـــا سيدتي ، والا فانـــه سيكون في بيت احـد شخصيات المدينة قالت السيدة وايزمـن وهي تضرب على المقعـد بقفازها •

ـ يا له من رجل لا يكل ولا يمل ، انه لا يهدأ •

ثم بعد ان صمتت قليلا اضافت :

ـ انه يهلك نفسه بينما بعض اغنياء اليهود وشخصياتهم الهامة لا يفعلون شيئا سوى استغلال الحرب لجمع المزيـــد مـــن الثروات واكتناز الذهب ، اللعنة عليهم ، يريدون الاستيلاء على فلسطين دون ان يفعلوا شيئا •

دخلت سارة الى المطبخ وبدأت في اعداد الشاي ، وقفت السيدة وايزمن ، ثم اخذت تتجول في مكتب زوجها ، وحدقت في صورتهمـا المشتركة وابتسمت ، انها تتذكر رحلة شهر العسل التي قضياها معا في بولونيا وايطاليا ، وتتذكر كيف اقترح عليها زوجها مواصلـــة الرحلة الى تركيا وبلاد العرب • وخاصـــة فلسطين لمشاهدة تلـك البلاد التي ستصبح وطننا لليهود ذات يوم •

نقر خفيف على الباب • وصوت سارة :

ـ سيدتي ، الشاي جاهز ٠

ـ انني آتية يا سارة ٠

اغلقت الباب خلفها ثم اتجهت الى احد المقاعد وجلست واخذت ترتشف الشاي ٠ قالت وعلى وجهها ابتسامة ٠

ـ رائعة انت في اعداد الاشياء يا سارة ٠٠ اشكرك على هـذا الشاي يا عزيزتي ٠

تصاعد رنين جرس الباب ٠ فاومأت للخادمـــة ان لا تفتح وان تظل في مكانها ، اتجهت الى الباب وفتحته ثم حين راها زوجها وراته تحاضنا ، وعندما ابتعدا قليلا عن بعضهما قال وايزمن يخاطبها :

ـ والان اخبرني بسرعة ٠ كيف تسير الامور ؟

قالت بحماس :

ـ هناك في جعبتي جملة اخبار ٠ كل واحد منها اهم من الاخر ٠ قال بلهفة :

ـ هاتي يا عزيزتي ، هاتي بسرعة :

قالت :

ـ ولكن اجلس اولا ، ثم ساحدثك بكل شيء ، والان يا عزيزي الدكتور ، لقد بدأ العرب بالقتال ضد تركيا لصالح (حليفتنا بريطانيا وشريف مكـة يعيش الان مـع المستر لورنس ٠٠ لورنس صديقنا البريطاني الرخـو الجميل اكثر مـــن سيدة ، والمؤمـــن بمبادىء الصهيونية كماهو مؤمن بها اي صهيوني عتيد ٠

قال وايزمن وهو يفرك يديه ٠

ـ العـرب يظنـون انهم بتخلصهم مـن تركيـا وبتحالفهم مع

بريطانيا سيحققون وحدة بلادهم ، ويصبحون اسياد انفسهم بلهاء ٠٠ بلهاء هل تسمح بريطانيا وفرنسا بظهور دولة قوية في تلك المنطقة ؟ على كل : ان عدم قدرة العرب على فهم الامور بشكل صحيح سوف يساعدنا في الوصول بسرعة الى اهدافنا ، آه ، والان هاتي بقية الاخبار :

قالت له زوجته :

ـ سوكو لوف موجود في لندن ٠

اخذ يصفق بكلتا يديه ٠

ـ سوكولوف ، ايها الصهيوني الرائع ، انه يرتدي مسوح الدين مثل الناسك الماكر ، انه افضل من أي ممثل في العالم ٠٠ هل قابلته ؟

قالت :

ـ قابلته لدقائق انه مشغول باللقاءات مع رجال الدين من شتى الطوائف ، لقد قال لي : انه الان مثل الصياد يريد ان يعرف كل (المواقع السياسية في لندن ، وقال انه ينتظرك على احر من الجمر ٠

اخذ وايزمن يهز راسه وهو يقول :

ـ سأحصل على اجازة من الجامعة ، ثم اذهب للقائه لترتيب الامور ، يجب ان يشتغلوا جميعا تحت اشرافي ولا يجوز لاي واحد ان يتصرف وكأنني غير موجود ، اليس كذلك يا عزيزتي ؟

قالت بابتهاج :

ـ لا احد يشبهك ، انت كل شيء في الحركة الصهيونية يا عزيزي ٠

وتطلع كل منهما في عيني الاخر وهو يبتسم فرحا ٠

الفصل الثامن

كان وايزمن يعمل ليل نهار بين الطلبة بواسطة بعض الطبة اليهود ، بين النساء بواسطة زوجته ، وبين الساسة البريطانيين وكان يساعده مجموعة من اليهود الصهاينة الذين آمنوا بالفكرة مثل (هربدت صموئيل) ٠ الذي يعمل في لندن ليل نهار، والذي يروج للفكرة الصهيونية والتحالف الصهيوني البريطاني ويوزع المطبوعات ٠ بل انه كتب مذكرتين وزعهما على كبار الشخصيات البريطانية ، وقد ارسلهما الى الملك شخصيا ، كانت السيارة تهتز ويهتز معها جسد وايزمن في المقعد الخلفي ، وكان يجيد افكاره في شتى الاتجاهات ، يفكر في كل شيء ، كان احساس طاغ بالفرح يتسرب الى قلبه وروحه ، ذلك انه يرى ان الامور تسير لصالح الصهيونية وان نتائج الحرب ستصب في طاحونتهما ٠

كان الجو ربيعا ، مطر خفيف يتساقط من السماء ، وكان النشاط باد على ملامح وايزمن ، وهو يتجه في تلك السيارة الى لندن للاجتماع بسوكوليف وصهيوني العاصمة ٠

كانت الافكار تتلاطم في رأسه ، وكان كالعادة يتحدث مع نفسه ، ويفكر بصوت مسموع ، مما دفع السائق لسؤاله ٠

ـ هل يتحدث السيد معي ؟

قال وايزمن :

ـ اوه ـ لا الجو بديع هذا النهار ٠

ثم سال :

ـ ما رأيك باليهود ؟

حدق السائق في المرآة راقب وجه وايزمن ٠

اخذ يفكر ترى ماذا يريد هـذا السيد ؟ حين رأى السائق ان الصمت قد طال ٠ اجابه :

ـ الحقيقة ايها السيد هذا السؤال لم يخطر لي ببال جيراننا يهود ، نحن اصدقاء نتبادل الزيارات في الاعياد لاخلاف بيننا ٠٠ المهم ان لا يتدخلوا في امور بلادنا ٠

هز الدكتور وايزمن رأسه ٠

ـ اوه ، اوه ٠٠

ولم يقل كلمة اخرى ، اجال الفكرة في ذهنه :

(المهم ان لا يتدخوا في امور بلادنا) ٠٠ قال في نفسه :

ايها السائق الفقير ، بلادك ومصالحنا مرتبطة ، ومصلحة الفريقين هي ان نحصل على فلسطين ٠ انت لا تعرف ذلك ، لكن اصحاب المصالح يعرفون ٠

كان السائق يدير مقود السيارة بحذر وانتباه وسط جو الضوضاء الذي يسود لندن ، وكان الناس يملأون الارصفة ، وقد رفعوا المظلات فوق رؤوسهم وهم يتفرجون على واجهات المحال التجارية ٠

قال الدكتور وايزمن وهو يشير الى مدخل احد الابنية الضخمة :

ـ اعتقد اننا وصلنا :

توقفت السيارة · وهـــدأ ضجيجها · خرج السائـق وتنفس الصعداء ، بعد ان كان قد قطع مسافة غير قليلة بين احدى الضواحي وبين لندن ، نفحه الدكتور وايزمن الاجرة ، ثم رفع ياقـــة معطفه ، اجال بصره حواليه ثم تطلع الى مدخل البناء فرأى بعض الاشخاص يخرجون لاستقباله ·

ـ انت يا عزيزي رئيس الاتحاد الصهيوني في مدينة لندن ، هكذا تكلم الدكتور وايزمن ، فوافقه الاخر بهزة من رأسه وكلمتين اخرجهما من فمه بسرعة ·

ـ نعم يا دكتور ·

ـ ان صفتك هذه تدفعني لان احدثك عن جملة مـن الامور قبل ان نتناول الغداء ، ولا يفوتني هنا ان اشكر لكم استقبالكم الحار ·

ـ العفو يا دكتور انت تبذل جهودا جبارة لانهاض الدعوة على قدميها ·

ـ نحن الان في الفترة الحاسمة يا عزيزي ، نحن يجب ان نتقدم للامـــام ، علينا ان نستغل ظروف الحـرب ، وان نعرف السـاسة البريطانيين بافكارنا ·

ـ هذا صحيح يا دكتور :

ـ لقد اجتمعت في (ما نشستر) بالصهاينة الموجودين هناك ، اجتمعنا في منطقة (شتام هل) في غرفة صغيرة ، قد حدثت جماعتنا هناك عن محادثاتي مع ادموند دي روتشـــيلد · واحدهـا عـام ، وهربرت صموئيل واستعرضت معهم العلاقة مع الساسة البريطانيين المؤيدين لفكرتنا ·· المهم يا عزيزي قد اتفقنا على ان نتحرك بسرعة اكثر ، لذلك جئت للتباحث معك ودراسة الامور ·

اخذا يرتشفان القهوة ، وكان وايزمن يتوقف بين فترة واخرى عن الحديث ، ثم يتمشى بعض الخطوات ، ويرمق زميله الصهيوني بنظرة سريعة ، ولكنها مركزة ٠

ـ يا عزيزي يجب ان نعتمد على ترويج افكارنا والدعابة لها ٠

ـ نحن يا دكتور نحتاج فعلا الى اعلان افكارنا وتقديمها امام الساسة البريطانيين وغيرهم ٠

هنا تحمس دكتور وايزمن اذ سمع الثناء الضمني على افكاره من قبل قائد صهيوني هام فقال :

ـ لقد زرت باريس وقابلت ادموند ـ دي روتشلد ، انه واحد من الاغنياء اليهود الكبار ، لقد شرحت له افكارنا بشكل مفصل ، واوضحت لهالفوائد التيسيحصل عليها اغنياء اليهود حين نستولي على فلسطين ، هناك ستقام الشركات الكبيرة ، والمصانع ، المشاريع الزراعية ، سنحول فلسطين الى ارض لبن وعسل ، وسنستولي على قناة السويس التي تسيطر على التجارة العالمية ٠٠ العرب متخلفون وبريطانيا ستساعدنا في الانقضاض على تلك البلاد ٠٠ المهم ان روتشلد يا عزيزي قد قدم لنا بعض المال لطباعة كتاب للتبشير بافكارنا ، والان استطيع ان اقدم لك نسخة من الكتاب ٠

فتح وايزمن حقيبته واخرج منها كتابا متوسط الحجم ، يحمل عنوان : « الصهيونية والمستقبل اليهودي » ، قلب الكتاب بين يديه ، اخذ يتطلع اليه :

ـ انظر يا عزيزي ان الافكار التي تدور في رؤوسنا قد اخذت تتحول الى حقائق ، نسيت ان اخبرك اننا عهدنا الى (مستر ليون سيمون) في الاشراف على اخراج الكتاب ، الحقيقة انه بذل جهودا تستحق الثناء ٠

ـ هذا الكتاب رائع يا دكتور ، انني سعيد بالاخبار التي نقلتها الي · وبرؤية الكتاب ·

ثم اضاف وهو يتصفح الكتاب ·

ـ انت كتبت المقدمة ؟

ـ نعم يا عزيزي ، اكثر من واحد اشتركوا في الكتاب ،.واكثر من طرف سيشتركون في جعلنا نصل الى فلسطين ونستولي عليها . والان ايها الصهيوني الطيب نستطيع ان نتناول الغداء ·

الفصل التاسع

كان (سوكولوف) قد اتخذ له مكتبا في اوتيل قصر ريجنت في لندن ، وكان هيئته تدل على انه اقرب ما يكون الى رجال الدين ، وكان (سوكولوف) في حقيقته يتقرب من رجـــال الدين المسيحي وذلـك لكسب ودهم لتأييد الحركة الصهيونية · في بداية الحرب الاولى كان يعتقد ان المانيا ستنتصر ، لكنه حين وجد ان المانيا ستهزم اتجه الى بريطانيا · ومنذ وصل اخذ يعمل ليل نهار من اجل كسب ود رجـال الدين ، وخاصة المطارنة الانجليكان ، وقد اجتهد لاقامة علاقة مـع اساقفة كنتربري ·

كان سوكولوف في ذلك الصباح من عـام ١٩١٦ يفكر في عدة امور : استقباله للدكتور وايزمن ، تجميع الصهاينة في حركة واحدة للبدء في الشغل بجد للتأثير على الحكومة البريطانية ، وكان يفكـر ايضا في مواصلة جهوده للتأثير على رجـــال الدين المســيحي في بريطانيا ، وحين وردت كلمـــة (الدين) الى ذهنـه اخـــذ يضحك بضجيج ، ولو دخل اي شخص عليه وهـــو في تلك الحـــال لظن ان الرجل مجنون ، قال يخاطب نفسه : الدين ، ماذا يهمني من الدين ؟ اني لا اعترف بشيء · ولكن ليكن ، علينا ان نعمل كل شيء لتحقيق افكارنا ·· لذلك يجب ان نقوم بعمل اي شيء ·

اخذ يتطلع الى الكتب الدينية المكدسة امامه وهو يبتسم

اخذ يتحسس الكتب باصابعه ، ايتها الكتب العزيزة لقد قلبت صفحاتك مرغما ، فانا رجل لا يؤمن بالدين ، ولكن علي ان اعرف كل شيء عن الاديان لاعرف كيف اخاطب حمقى الكنائس الذين يمكن ان يمدوا لنا يد المساعدة ، تنبه مـن شروده على صوت الجرس يقرع فتحرك بخطى سريعة ، وفتح الباب ، حين رأى الدكتور وايزمن امام الباب خلع قبعته ومد يده ، تصافحا بحرارة ، وكان كل واحد منهما يتطلع الى وجه الاخر ، قال وايزمن :

ـ ها نحن الان نلتقي في لندن ٠

قال سوكولوف :

ـ نعم يا عزيزي الدكتور ، هـــا نحن نلتقي ، اننا نغزو لندن بسرعة ، واعتقد اننا سننجح في الحصول على ما نريد ٠

كان وايزمن ما زال واقفا ٠ النوافذ مغلقة ، والستائر مسدلة٠ قال لسوكولوف ٠

ـ ما رأيك ان نفتح احدى النوافذ كي يدخل الضوء ؟

ابتسم سوكولوف ابتسامة باهتة من خلال وجهه الشاحب ، وقد خمن ما يدور في ذهن وايزمن ٠

ـ اننا يا عزيزي الدكتور نعيش الان في الظلام ٠ نتحرك بصمت، نسدل الستائر كي لا يراقبنا احد ، لا نعطي اسماءنا الصحيحة لاحد غير البريطانيين الذين يؤيدوننا ٠٠

قال وايزمن :

ـ لقد بدأت اقدامنا تمشي على ارض صلبة ٠ الان سنفتح نافذة٠ وبعد فترة قليلة سنفتح كل النوافذ ونخرج الى العلن ، سنتحرك على المكشوف ٠٠

عندئذ فتح سوكولوف احدى النوافذ ، كان مطر خفيف يتساقط وكانت الابنية تبدو رمادية مائلة الى الزرقة ٠

اخذا يتنقلان في المكـــان ، وهما يتبادلان الحديث احيانا ، او وهما صامتين ، توقف وايزمن امام الكتب الكثيرة ابتسم وهو يرمقيا سائل :

ـ عزيزي سوكولوف هذه ادواتك للشغل ؟

ضحك سوكولوف ، واجاب :

ـ انها يا دكتور مناجمي ، انا اقرأها لاعرف كـل شيء فيها ، ثم حين اعرف كيف تفكر كل طائفة فانني اعرف كيف اتعامل معها ٠

وغرق وايزمن وسوكولوف في ضحكة طويلة ٠ وكي يعودا الى جو الحوار قال وايزمن :

ـ الواجب يا عزيزي ، انت تقوم بواجبك على كـــل نحن لولا استخدامنا للدين ، فان فقراء اليهود ما كانوا يقبلون التوجه الى فلسطين ، عندي خادمة في البيت ، هذه المرأة لا تعرف غير اللغـــة الانكليزية طلبت اليها ان تبدأ فيتعلم العبرية، وقراءة العهد القديم، ثم دفعتها للبدء في بث الدعوة بين اليهود الفقراء في(مانشستر) ٠ اجتمعت بهم عدة مرات ، وتحولت الى داعية دين متحمس وأنـــا غير مقتنع ، لكن ماذا نفعل ؟ الدين ، انه يفيدنا الان ، وسيظل يفيدنا حتى نجمع اليهود في العالم في تلـــك الاراضـــي الفلسطينية والعربية المجاورة لها ٠ تصور لو اننا قبلنا (اوغندا) وطنا قوميا لنا ، أترى هل كان فقراء اليهود يقبلون بالرحيل الى افريقيا لمحاربة الزنوج واحتلال بلادهم ؟

اجابه سوكولوف :

ـ لا يا دكتور ما كـــان اليهود يقبلون ان يتركوا موسكو ولندن

وواشنطن وغيرها ليذهبوا للعيش في افريقيا ·· ربط مطالبتنا في فلسطين بالدين كانت فكرة صائبة جدا ·

قال وايزمن :

ـ يا عزيزي سأخبرك الان بما يلي : الحرب تاكل العالم ، ونحن يجب ان نستفيد من هذه الظروف باقصى سرعة . سوف نعقد اجتمعا يضمني انا وانت ويوسف كون ، دكتور غاستر ، هربرت بنتوتيش وهذه اللجنة ستعمل بالتشاور مع روتشيلد وهربرت صموئيل واحادها عام ·

الفرصة مواتية يا عزيزي للعمل معنا هنا في بريطانيا نواب في البرلمان ، ووزراء ، لنا رجال نعتمد عليهم في الصحافة خذ على سبيل المثال : هربدت ساید بوتام الذي يعمل في صحيفة مانشستر انه يروج لفكرة اللجنة الفلسطينية الانكليزية · انت قرأت لا شك النشرة الاسبوعية التي يخرجها هربدت ساید بوتام ؟

قال سوكولوف :

ـ نعم يا دكتور انها نشرة رائعة وهي تؤثر في الانكليز المتعلمين، انها نشرة متحمسة تقدم افضل الدعاية لافكارنا ··

ـ حسنا يا عزيزي ، افكار اليهود في العالم مشتتة ، كل واحد يفكر بطريقة خاصة ·· لذلك نحن بحاجة لوعد علني من بريطانيا ، تعلن فيه حقنا القومي والديني في فلسطين ··

ـ نعم يا دكتور ··

رفع وايزمن يده ، وقال :

ـ لا تقاطعني يا عزيزي حتى انتهي ·· عندما نحصل على الوعد ستتجه افكار اليهود الى فلسطين سيشعرون ان معهم دولة

كبرى ، وسنتمكن من فتح كافة النوافذ والتحرك على المكشوف ... الان بامكانك ان تعلق على ما سمعت .

ـ هذه فكرة رائعة يا دكتور نحن نحتاجها فعلا .

وقف وايزمن واخذ يتحرك في الغرفة :

ـ نريد منك ان تعمل فـوق طاقتك .. سوف اعرفك قريبا على بعض الاشخاص الهامين في لندن .. وهم ليسوا من رجال الدين .

اخذا يضحكان معا ..

ـ انهم يا عزيـــزي لا يفكرون في السماء ، انهم يفكـرون في الارض .. مصالح الامراطوريـة البريطانية اهم عندهم من كـــل الانبياء .. وكذلك نحن .. لذلـــك نحن نلتقي واياهم حول ضرورة الاستيلاء على فلسطين ، حتى لا تقوم هناك دولة عربية قوية ..

والان يا عزيزي الى اللقاء ، حتى يوم الاجتماع الذي سابلغك به بواسطة رسول خاص. لا تنسى انني موجود فيجامعة مانشستر، ومن جهة اخرى فربما اتصل بـك مـــن لندن ، لانني سأجري بعض الاتصالات خاصة مع الرجال الذين سيكونون في الوزارة المقبلة .. مستر بلفور مثلا .. الى اللقاء .

الفصل العاشر

كان اللورد روبرت سيسيل مساعد وزير الخارجية البريطانية يتحدث ببطء وفي عينيه شرود وتعب ، ذلك انه يجهد نفسه في العمل المتواصل في الوزراة ، بالاضافـــة للجهود التي يقوم بها الصهاينة لتحقيق المصالح المشتركة في فلسطين ، صمت لحظة ، ارتشف مـــن فنجان الشاي ، وتطلع في عيني دكتور وايزمن ، وقال :

ـ فعلا انها معاهدة خطيرة وتحتاج الى التعديل ، انها ضـــارة وغير مدروسة جيدا ٠

قال وايزمن

ـ الحقيقة يا عزيزي اللورد ان النص الذي اطلعت عليه مخيف ، انا لم اتعرف على كل اتفاقية سايكس ـ بيكو ، لكن هذا النص كاف ، وكي لا يفوتني أي حرف فاني اقراه لك ٠

مد وايزمن يده الى حقيبته ، أخرج ورقـة صفراء ، واخذ يقرأ باللغة الانكليزية :

« تحصل فرنسا بعد الحرب لاعلى شمال سوريا فحسب. بل على فلسطين في الجنوب الى خط يبدأ من عكا وبحيرة طبريـــا شامـــلا حوران ، اما بقية فلسطين فتدول ٠

وقف لورد سيسيل ساخطا ، اخذ يفرك جبينه وقال :

ـ كلما سمعت هذا النص ، فقدت صوابي ، ان معنى هذا الكلام يا عزيزي وايزمن ، ضياع مصالحنا المشتركة في فلسطين ٠٠ لا ، نحن لن نسمح لفرنسا او غيرها ان تتدخل ٠

عندما لاحظ وايزمن حماس سيسيل قال :

ـ عزيزي اللورد ، انت شخص عزيز علينا ، وانت ولا شك تعرف مصالح بلادك بريطانيا في بلاد العرب ، وتعرف اهمية الموقع العربي في العالم ، اذا تحققت هذه الفقرة فذلك سيؤدي الى كارثة اسمح لي ان اقول لك ان هذا الاقتراح خال من الاتزان والادراك ، انه ظالم بالنسبة لبريطانيا مهلك لنا نحن الصهاينة ٠

قال سيسيل بحماس مفاجيء ، وهو يربت على كتف وايزمن :

ـ عزيز وايزمن ، العالم يجب ان يستقر ، ولا يجب ان يفلت من قبضتنا ، وكي يتحقق هذا الامر فان على بريطانيا ان تراقب كل شيء ، كما نحن متفقون مصالحنا واحدة ، لذلك سنواصل العمل ليل نهار ٠ بالنسبة لفرنسا فهي لن تقف امام سياستنا ، ولن نسمح لها٠

قال وايزمن :

ـ نحن نريد في فلسطين سيدا واحدا : بريطانيا لا تريد فرنسا او امريكا ، لان المشكلة ستتعقد عندئذ ، ولن نتصرف نحن وانتم كما نشاء ، رد سيسيل وهو يبتسم ويخرج دخان غليونه من انفه ٠

ـ صحيح ، هذا صحيح ، سيد واحد يكفي والا فالمشاركة تعني تعقد الامور ومزيدا من المتاعب ، على كل انتم تعرفون اننا معكم ، غالبية ساسة بريطانيا : بلفور معكم ، انا معكم ٠٠ معكم بحماس ، وكي لا اغشك يا عزيزي ، وبعيدا عن العواطف ، فانا معكم من اجل بريطانيا وهذا واضح ٠

قال وايزمن بحماس وبانفعال :

SCANNED BY
JAMAL HATMAL

– لا عيب في ذلك · انت تخدم بلادك ، ونحن سنخدم بلادك ايضا، العرب لن يخدموا الامبراطورية ، على العكس ربما يقومون بانتفاضات ويخربون عليكم ، نحن وانتم مصيرنا واحد ··

عندما حمل وايزمن حقيبته وهم بالخروج نظر لورد سيسيل اليه مباشرة وربت على كتفه وخاطبه :

– عزيزي وايزمن ، فلسطين ستكون تحت الانتداب البريطاني ، ولن تدخل فرنسا الى تلك البلاد ، وهذا يعني ان فلسطين ستكون لكم ، تذكر نحن معكم ··

قال وايزمن :

– فرنسا يا عزيزي اللورد يجب ان لا تدخل الى فلسطين ، ان اساليبها الاستعمارية متخلفة ، واساليب بريطانيا افضل بكثير ، الادارة الفرنسية ليس عندها كفاءة او تشرف على فلسطين بكل التعقيدات التي ستحدث في فلسطين ·· اننا نعمل في فلسطين وسوف نطور اعمالنا والمنظمة الصهيونية تقيم الانشاءات في فلسطين ، نحن نعمل ، المهم ان تعملوا انتم ايضا ·

وضع وايزمن قبعته على رأسه ورفع ياقة معطفه ، وقبل ان يدير ظهره للورد سيسيل ابتسم له ابتسامة تشبه ابتسامات الذين ينتهون من عقد صفقة ناجحة ·

ABU ARIEL

الفصل الحادي عشر

كانت سارة تنظف زجاج مكتب الدكتور وايزمـــن منذ الصباح الباكر ، وهو يجلس وراء طاولة المكتب ، ويرتشف من فنجان الشاي الموضوع امامه ويقلب بعض الاوراق ، يكتب ويشطب واحيانا تبدو عليه ملامح الجنون ، رفع رأسه عـــن الاوراق الموضوعـــة امامه وســـأل :

ـ كيف حال ابنك هذه الايام ؟

اجابته باللغة العبرية :

ـ صحته جيدة يا دكتور ، انه قوي مثل موسى النبي ٠

ابتسم وايزمن :

ـ رائع يا سارة ، انت الان يهودية جيدة ، اذا جاءك طفل جديد فاطلقي عليه اسم (موسى) ، والان سأسألك ، كيف احوال اليهود الذين تعيشين بينهم ؟

توقفت عن تنظيف الزجاج ، وقالت وهي تجفف يديها :

ـ بعضهم تحمس للفكرة منـذ البدايـة ، وبعضهم استطعنـا اقناعه ، وقلائل منهم خافوا ، وهم يرون ان هـذه الدعـوة ستجلب

الكوارث لليهود . انهم يقولون ان على اليهود العيش في البلاد التي اوتهم ، وان اليهود ليسوا جنسا واحدا ، بدليل ان بعضهم اسود وبعضهم اشقر ..

اخذ وايزمن يخرج اصواتا من انفه ، بغضب وكره لليهود الذين يقولون هذا الكلام ، قال لها :

ـ هؤلاء مجانين انهم يعصون تعاليم الرب اله اسرائيل . هل قرأت العهد القديم مرة اخرى يا سارة ؟

قالت سارة :

ـ نعم يا دكتور وانني اذهب الى الكنيس كل يوم سبت .وزوجي بدأ يذهب معي الى الكنيس بعد ان اقنعته بالافكار التي تعلمتها منك ، لقد كان في السابق يشتغل مع الحركات العمالية البريطانية التي تدافع عن حقوق العمال ، اما الان فانه يشتغل بحماس بين اليهود ، ولم يعد يستقبل اصدقاءه العمال البريطانيين السابقين .

قال وايزمن :

ـ رائع .. رائع يا سارة ، سوف يكون لك مركز هام عندما نحتل فلسطين ونؤسس دولتنا هناك ، عندما نطرد العرب ..

سمعا جرس الباب يقرع ، وكان وايزمن قد عاد لاوراقه . فتنبه ورفع رأسه وقال لخادمته :

ـ قولي للشاب الذي بالباب ان يدخل . انه على موعد معي ، ثم بامكانك يا عزيزتي ان تذهبي الى المطبخ وتعدي للاسرة طعام الغداء والان خذي معك ادوات التنظيف ، اما القهوة فلتعديها لنا بعد نصف ساعة .

قالت وقد احنت رأسها ، وهي تخرج :

ـ حاضر يا دكتور ٠

ثم انها وهي خارجة كانت تفكر في عدم سماح الدكتور لها ان تدخل غرفة المكتب وهو غير موجود فيها ، او ان تنتظر ولـــو لحظة عندما يزوره احد ٠

قرع الشاب على باب المكتب بهدوء ، وجاءه الصوت بعد قليل من الداخل ، ادخل ، خلع قبعته ومعطفه بسرعة ، وتقدم الى الدكتور وايزمن احنى رأسه امامه ، واذا رأى ان الدكتور يكب بحماس ـ او يتظاهر ـ ظل في مكانه ولم يجلس ، وبعد قليل رفع وايزمن رأسه وابتسم للشاب :

ـ اهلا يعقوب ٠ اجلس ،

جلس الشاب في احد المقاعد ، اخذ يحك ذقنه الصغيرة اذ شعر بارتباك من نظرات وايزمن المسلطة عليه ٠٠ سأله وايزمن ٠

ـ كيف عملكم ؟

قال يعقوب ٠

ـ نحن نعمل ليل نهار بين الإنكليز واليهود على السواء ٠

ـ هل تراقبون من هم الطلاب الاذكياء ، وابناء الاسر الغنية ، وهل تقدمون لهم بعض الافكار عن الصهيونية وضرورة الحصـــول على فلسطين كوطن قومي لليهود ؟

قال الشاب :

ـ نعم يا دكتور ، وسوف نزودك باسماء بعض الشباب الانكليز الذين ينتمون لاسر غنية وذات مراكز اجتماعية هامة ٠٠

قال وايزمن :

ـ يجب ان ننشيء العلاقات مع بعض الشباب منذ الان ، أي

وهم في الجامعة ، اذا وضعنا افكارنا في رؤوسهم فذلك يعني اننا ستسخرهم لتنفيذها حين يصبحون في مراكز هامة في المستقبل ٠

وافق الشاب على افكار وايزمن قائلا :

ـ هذا صحيح يـــا دكتور ، ا نافكارك العظيمة ، وافكـار (هرتزل) مؤسس الصهيونية هي التي توجهنا للعمل ٠

ابتسم وايزمن ، وعاد للكتابة والتشطيب ، وكان احيانا يركز ذقنه على راحة يده اليمنى ، ويبدو عليه حينئذ انه غارق في التفكير العميق٠كان الشاب عندئذ يفكر : قال يحدث نفسه «لقد كنت متوسط الدرجات في الدراسة الجامعية لكنني الان اصبحت احصل عـلى افضل العلامات في دروس الدكتور وايزمن ، ليس انا وحدي ولكن انا وبعض الطلاب اليهود والانكليز الذين كسبناهم معنا » ٠

تطلع اليه وايزمن نقر بالقلم على سطح الطاولـــة وخاطب الشاب ٠٠

ـ بماذا تفكر يـا يعقوب ، الا تســـمع الطرق على الباب ، تناول القهوة من الخادمة ، هيا يا يعقوب ، هيا ٠

بعد ان شربا القهوة وقف الشاب مستأذنا ٠

فخاطبه وايزمن :

ـ اكتبوا لي كل شيء عن الشباب في الجامعة واعملوا ليل نهار ٠

هز يعقوب رأسه وخرج بعد ان ارتدى معطفه وقبعته ، ووعد الدكتور وايزمن بأن يرسل اليه كل المعلومات ٠

حين خرج الشاب شرع وايزمن يكتب تقريـــرا الى مستر براندیز رئيس الحركة الصهيونية في امريكا ، ووضع التاريخ فوق ٨ ابريل ١٩١٧ ٠٠

كتب الى براندیز ان الموقف يتقدم بنجاح ، وقال له في الرسالة ان فرنسا تشكل عقبة في طريق الحصول على فلسطين ، وان صهاينة بريطانيا يأملون ان يتحرك صهاينة امريكا للتأثير على الحكومة الامريكية ٠

ثم حين انتهى من الكتابة قال يخاطب نفسه : بلفور سوف يصل الى امريكا في يوم ٢٠ من هذا الشهر وحتما سيتقابل مع القاضي براندیز في البيت الابيض ، ان الامور ستسير على ما يرام هذا ما اعتقده ٠

أخذ يرتب الاوراق والرسائل ، ثم اتجه الى غرفة الطعام وهو يحس ان الحلم قريب بالتحقيق ، وان كانت الامور ستنفجر هناك في فلسطين ٠

الفصل الثاني عشر

في احد أيام شهر يناير من عام ١٩١٧ توجه الدكتور وايزمن وبصحبته سير رونالد ولورد روتشيلد لمقابلة بلفور ، كان الجو بين الجميع وديا للغاية ، قال وايزمن .

ـ يا عزيزنا اللورد بلفور لقد حان الوقت لكي تصدر الحكومة البريطانية تصريحا نهائيا بالتأييد والتشجيع لحركتنا الصهيونية . ان الوعد هو الدعامه بالنسبة لنا .

علق روتشلد

ـ الوعد هام جدا . سيكون نقطة تحول في تاريخ الحركة ، لان انظار اليهود في العالم ستتجه الى فلسطين ، عندئذ يمكننا ان نشجع الهجرة بشكل افضل مما هـ ي عليه الان . وعندئـذ نستطيع ان نضاعف من جمع الاموال والبدء في اقامه المشاريع في فلسطين .

قال بلفور .

ـ اصدقائي الاعزاء اعدكم بالعمل العاجل والحاسم على اصدار الوعد الذي تطلبونه . وكدليل على صداقتنا والثقة المتبادلة ، فانني اقول لكم : اكتبوا التصريح الذي ترضون عنه ، انا سأقدمه لوزارة الحرب التي تعود بريطانيا .

عند هذه الكلمات التي اعلنها امامهم لورد بلفور دخل الاطمئنان الى قلوبهم اكثر من السابق ، ورأوا ان اعلان الوعد قد اقترب ٠

وعندما خرجوا قال روتشلد يخاطب بلفور :

ـ يا صديقنا العزيز ، مصالحنا واحـــدة ، ونحـن لا ننســى الاصدقاء ٠

تبادلوا جميعا عبارات ودية تدل على التفاهم ثم خرجوا ٠

عندما تحركت بهم السيارة توجه روتشلد بالسؤال الى الدكتور وايزمن :

ـ ماذا ستفعلون يا دكتور ؟

قال وايزمن :

ـ سوف نكلف عزيزنا (سوكولوف) رئيس اللجنة السياســية بكتابة مسودة مشروع الوعد ، وسنقترح عدة صيغ تناسبنا ليصار الى اختيار احداها ، المهم ان لا تخرج هذه الصيغ عن الخط العام ٠

هز روتشلد رأسه وابتسم ، وقال بالفرنسية :

ـ هذه وجهة نظر رائعة يا دكتور . انني اؤيدها ٠

الفصل الثالث عشر

يوم ١٨ سبتمبر علم دكتور وايزمن ـ من بعض انصار الحركة الصهيونية البريطانيين ـ ان التصريح الذي تقدم به الصهاينة الى الوزارة البريطانية قد بحث اثناء جلسة الوزراة ٠

واستشاط وايزمن غضبا حين علم ان الوزير (ادوين مونتاغ) قد تدخل بشكل قوي لسحب المشروع من جدول الاعمال ، وكان لويد جورج ومستر بلفور قد تغيبا عن جلسة الوزراء سلفا ٠

حين كان وايزمن يجلس في حالة من الاكتئاب داخل مكتبه وصلته رسالة من روتشلد يقول له فيها : لقد كتبت الى بلفور وطلبت اليه تحديد مقابلة يوم الخميس او الجمعة ، اولا تذكر اني قلت لك في لندن حالما اطلعت في الصحف على نبأ تعيين (مونتاغ) انني اخشى ان يحل بنا ما وقع ؟؟

طوى وايزمن الرسالة ووضعها امامه على المكتب وقال يخاطب روتشلد وكأنه امامه :

ـ انت يا عزيزي روتشلد يائس ، وانا لست مثلك الان ، الموقف سيء صحيح ولكنه لا يدعو للتشاؤم ، خاصة وان قضيتنا ليست سهلة ، هل تظن يا عزيزي المليونير ان الاستيلاء على ارض شعب وطرده واخذها لشعب اخر سوف يسير بكل سهولة ؟

غمس وايزمن ريشته في المحبرة وخط البرقية التالية لبراندیز في امريكا ٠

« عزيزي » براندیز :

بعد اقرار نص التصريح من وزارة الخارجية ورئيس الوزراء ، تم تقديمه الى وزارة الحرب ٠ ان حكومة جلالته تقبل مبدئيا بذلك ٠

ان فلسطين يجب بناؤها كوطن قومي للشعب اليهودي ، ان حكومة جلالته ستبذل اقصى جهودها لتأمين الوصول الى هذه الغاية ، وستبحث الطرق المناسبة مع المنظمة الصهيونية ، ولكننا ننتظر الاقرار النهائي ، وبشكل رسمي ومعلن ٠

تنهد وايزمن وهو يطوي البرقية ، وقال : يجب ان نتحرك بشكل اقوى من السابق ، يجب توحيد كل الاطراف حتى لا يحدث اي خلل في عملنا ٠

ثم دخل الى غرفة النوم واستلقى بكامل ملابسه على السرير ، وكان يتطلع الى السقف ، ويفكر في العمل المقبل ، والجهود المطلوبة ٠

الفصل الرابع عشر

اخذ وايزمن يكتب في دفتر مذكراته بعض الملاحظات عن اتصالاته ببعض الساسة الانكليز ، كتب عن لقائه بلويد جورج رئيس الوزراء وامتدح حماس لويد جورج الذي وعد بتقديم المذكرة لتدرج على جدول اعمال حكومة الحرب في اليوم الرابع من اكتوبر عام (١٩١٧) ٠

لقد كتب لويد جورج الى وزارة الخارجية ينتقد موقف المعارضين للصهيونية ، الذين يعملون على عرقلة اصدار وعد واضح من بريطانيا لصالح الصهيونية ٠

اخذ يكتب عن (ادوين مونتاغ) الوزير في حكومة الحرب ، والذي وقف ضد الاراء التي تطرح ضرورة تقديم فلسطين للصهاينة ٠

★ ★ ★

في صباح يوم ٩ اكتوبر ، اخذ وايزمن يكتب برقية طويلة الى القاضي (براندیز) رئيس الصهاينة في اميركا ، واخبره في تلك البرقية بتعديل الصيغة على مذكرة الصهاينة . واوضح له ان التعديل قد جاء بناء على اقتراح من لويد جورج ولورد بلفور ،

واوضح له ايضا موقف (مونتاغ وخطابه العنيف الذي القاه في ٤ اكتوبر ، وقال له في البرقية : لقد حدث تراجع عن وجهة النظر التي طرحناها فيما كنا نطرح نحن العقدة التالية :

ان فلسطين يجب ان يعاد انشاؤها كوطن قومي للشعب اليهودي ، طرحوا هم : ضرورة تأسيس وطن قومي في فلسطين للعنصر اليهودي • انت ترى ياعزيزي براندیز انهم يطرحون حق الطوائف الاخرى الموجودة في فلسطين واحترام حقوق تلك الطوائف الدينية والمدنية •

واختتم برقيته : انهم يقيدون عملنا ، لكن ورغم كل شيء سنواصل جهودنا •

رفع وايزمن صوته مناديا سارة التي ما ان سمعته حتى حضرت على عجل • قال لها ابداي في ترتيب اغراضي في هذه الحقيبة ، ياعزيزتي •

ثم انه اخذ يرتب بعض الاوراق والدفاتر وذهنه مشغول في الكتاب الذي وصله من الحكومة البريطانية التي رأت خلافا في وجهات النظر بين الصهاينة وغيرهم • وقد طالبتهم الحكومة البريطانية بأن يحددوا مواقفهم ، واختارت الحكومة البريطانية ان تسمع اراء اربعة من كل فريق •

تطلع وايزمن الى سارة وقال لها :

عزيزتي سارة ، ذات يوم سوف نحزم حقائبنا ونذهب الى فلسطين ، والآن الى العمل •• ثم خرج •

الفصل الخامس عشر

بعد ان وصل الدكتور وايزمن الى لندن اخذ يقارن بين النصين : القديم والجديد ، ووجد هو وبعض الصهاينة ان الاختلاف واضح تماما ، ولكنه خاطب بعض الموجودين معه :

ـ ياأعزائي ، نحن لا نستطيع ان نتاخر في تقديم وجهة نظرنا ، ولا نستطيع التلكؤ حتى لا تتطور الامور بعكس صالحنا ، يجب ان لا نتمسك في الصيغة الاصلية التي طرحناها والتي تمثل رغبتنا ووجهة نظرنا ، ووجهة نظر بعض اعضاء الحكومة البريطانية ، يجب ان لا نعطي المعارضة فرصة تجميع قواها ضدنا، عندما انتهى الاجتماع ، جلس وايزمن وحيدا ، وكتب الى (لويد جورج) : الا يكون من الانسب تبديل عبارة تأسيس الوطن القومي اليهودي ، بعبارة (اعادة تاسيس) وذلك كي يبدو ان الوطن الفلسطيني كان لنا ، واننا نعود اليه بعد غيبة الف سنة واكثر .

وكتب ايضا : لماذا لا نضع عبارة (الشعب اليهودي) بدلا من العنصر اليهودي ، وذلك كي توحي للعالم اننا شعب واحد ثم اخذ يكتب في مذكراته :

الرئيس ولسون (رئيس الولايات المتحدة الاميركية) معنا

من كل قلبه ، ولكنه يرى ان نشر التصريح سابق لاوانه ، لانه لا توجد حالة حرب قائمة بين اميركا وتركيا ؛ التي تشرف على بلاد العرب) ، ولكـن (براندیز) رئيس صهاينة اميركا استطاع ان يقنع الرئيس الامريـكي بوحدة المصالـح الاستعمارية لامـريكا والصهيونية في فلسطين ، وهكذا كسب موافقة الرئيس الامريكي ٠ لقد جاءت رسالة من العقيد (هاوس) وكيل الرئيس ولسون الـى الحكومة البريطانية في ١٦ اكتوبر يعلن فيها تأييد امريكا لمضمون التصريح الذي سيظهر لمصالح الصهاينة ٠

* * *

بعد ذلك اليوم بفترة غيـر طويلة ، عقد اجتماع للـوزارة البريطانية ، كان ذلك يوم (٢ نوفمبر) وقد وجهت الدعوة للدكتور وايزمن ليكون قريبا من قاعة الاجتماع ٠ وفيما كانت افكاره مشتتة وعلامات القلق بادية عليه ، جاء المستر سايكس باتجاهه بسرعة وفي يده نص الوثيقة المطلوبة وهو يصيح بحماس :

يا دكتور وايزمن (انه غلام) يا دكتور وايزمن ، واخذ وايزمن يقرأ الورقة بحماس ٠ كـــان فيها نص تصريح بلفور ، كان النص المكتوب امامه هو التالي :

ان حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف الى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هـذه الغاية على ان يفهم جليا انه لن يؤتي بعمل من شأنه ان يغير الحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها الطوائف غير اليهودية المقيمة الان في فلسطين ، ولا الحقوق او الوضع السياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الاخرى ٠

كان الكتاب موجها الى لورد روتشلد ، وقد وقع في نهايتـــه وزير الخارجية البريطانية بلفور ٠

طوى وايزمن النص ووضعه في حقيبة اليد التي يحملها ، ثم خرج ليتصل بزوجته ، وبعد ان اتصل بها ، اجرى محادثة هاتفية مع (آحادهاعام وابلغه بالنص المكتوب في الوثيقة التي صدرت عن وزارة الخارجية ٠

كان مستاء في البداية ، لكنه حين قلب الامر في ذهنه وجد ان الامور قد تقدمت خطوة هامة الى الامام ٠

وحين سار في احد الشوارع بعد ان نزل من السيارة ، كان يفكر في الطرق الكفيلة بجعل اليهود يهاجرون الى فلسطين ، قال في نفسه : ستكون المعركة صعبة وقاسية : لكن معنا الان بريطانيا وامريكا ، ومعنا اموال الصهاينة الكبار ، اما العرب فليس معهم احد ، ثم ان بريطانيا وفرنسا وفق معاهدة سايكس بيكو سوف تمزقان بلادهم وهتف في داخله : الى العمل ايها الصهاينة ٠٠ الى العمل وبكل الوسائل ٠

الفصل السادس عشر

توقفت السيارة بالدكتور وايزمن امام بيت سوكولوف ، واذ اطل سوكولوف ورأى الدكتور وايزمن سأله بسرعة :

ـ قل لي يا دكتور ماذا حدث ، ما هي الاخبار ، ها ، قـل لي ارجوك ٠

ابتسم وايزمن ، واخرج من جيبه ورقة مطوية بعناية ومكتوب عليها نص الوعد ، تناولها سوكولوف واخذ يلتهم حروفها ، ثـم اعاد تلاوتها بأنفاس مبهورة وكان يتوقف عند كل كلمة ، ويرددها ٠

ـ كفى ٠٠ انتظر يا سوكولوف ٠

قال سوكولوف مستفسرا :

ـ ماذا يا دكتور ؟

اجابه وايزمن :

ـ كنت أظـن ان نص الوعـد يختلف كثيرا عما نريده وعما طرحناه ٠٠ ولكنني اكتشفت الان وانت تقرأ نص الوعد انه غير

مختلف سوى شكليا ، هذا من جهة ، من جهة اخرى يـــا عزيزي ، فاننا قد كسبنا معنا عشرات الشخصيات البريطانية الهامة ، اضف الى ذلك ان الحركة بهذا الوعد ،وتناول الورقة من يد سوكولوف ٠

ـ الحركة بهذا الوعد ، قد اصبحت حركة معترف بها، أي اننا سندخل الى المحافل الدولية بقوة ٠

كان وايزمن يتكلم بحماس واندفاع :

ـ العرب يثورون ضد الاتراك ، بريطانيا وفرنسا تريدان اقتسام المنطقة العربية ، بريطانيا لن تسمح باضاعة قناة السويس ، أليس كذلك ؟

وقبل ان يجيبه سوكولوف ، اضاف :

ـ ليس غيرنا نحـن الصهاينة مـــن يضمن للانجليز بقاء قناة السويس تحت امرتهم ، ليس غيرنا نحن الصهاينة من يضمن عـدم تحقيق الوحدة بين العرب ، واقامة دولة قوية في تلـك البلاد تسيطر على اهم ممرات العالم برية ومائية أليس كذلك ؟

أجاب سوكولوف :

ـ بكل تأكيد يا دكتور ليس غيرنا ، ان بريطانيا بحاجـــة لنا ، وساستها يدركون ذلك ، ولكن لمـــاذا وجـــه الوعـــد الى اللورد (روتشلد) ؟

قال وايزمن بانتباه شديد ، ذلك ان مجرد سؤال سوكولوف يعني انه غير موافق على ان يبرز روتشلد رجل المال اليهودي الفرنســي وكانه اهم شخص في الحركة ٠

ـ لا يهم يا عزيزي ، نحن نحتاج لرجال المال ، المهم

ونقر باصابع يده اليمنى على رأسه ٠

ـ المهم يا عزيزي هو ان العقول السياسية هي التي ستقود اليس كذلك ، ان روتشلد يريد ان يصل الى سدة الزعامه بالاعتماد على امواله . ولكن لا ، الحركة ستستفيد منه ماليا ، وستستفيد من نفوذه وتأثيره على بعض الشخصيات العالمية التي يمكن ان نشتريها بالمال .

هنا قال سوكولوف :

ـ يا دكتور ، انك انت زعيم الحركة ، وانت الذي سيقودنا الى فلسطين ، الى ارض العسل التي ستصبح ارضنا .

ابتسم وايزمن وربت على ظهر سوكولوف وقال له :

ـ هل ستخلع هذه الملابس الدينية عندئذ ؟

قال سوكولوف بجديه مطلقة :

ـ لا يا دكتور ، اذا خلعنا هذه الملابس الدينية وتخلينا عن تعاليم التلمود فان دولتنا عندئذ ستزول .

هز وايزمن راسه وقال :

ـ فعلا ، بالمال والدين والتحالف مع الدولة القوية يمكن ان نحصل على ارض العسل .. ونبني دولتنا .

كان كل منهما يحدق في وجه الاخر ، وساد صمت طويل بينهما ، وكانت ورقة « الوعد » مطروحة على الطاولة .

السعر ٤ ل.ل او ما يعادلها